القيم السودانية ودورها في التنمية دراسة تحليلية نظرية

المعز ابكر احمد **عبدالله**[1]؛. سليمان حسين محمد **حسين**[٢]

[1] جامعة شندي – كلية الدراسات التنموية

[2]جامعة السلام

مستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على الدور الذي تقوم به القيم في تحقيق عملية التنمية، وإبراز دور القيم التي تشكل قناعة للمجتمع في تحقيق متطلباته الروحية والمادية، وإبراز أهمية النظام الاجتماعي القائم على مبادئ وقيم في تنظيم الحياة الاجتماعية للمجتمع وتوجيهها نحو الأهداف الحقيقية، ولتأكيد ذلك اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الذي قاد في النهاية إلى مجموعة من النتائج من أهمها أنَّ القيم تؤثر تأثيراً مباشراً على التنمية والتخلف، وأنَّ لكل مجتمع طريقته الخاصة في إيجاد الحلول لبلوغ التنمية، وأنَّ القيم وما تقدمه لنا من تنوع ثري يمكن أن يكون جزءاً من الحل للتنمية.

الكلمات المفتاحية: القيم، التنمية، القيم السودانية، القيم التنموية.

Abstract

The current study aims at shedding the light on the role that values play in the achievement of the development process, in addition to highlight the role of the values that form and make satisfaction for the society in achieving its spiritual and physical requirements. The study aims also at highlighting the importance of the social system, based on principles and values contribute in organizing the social life and orienting it towards the real targets. The study followed on the analytical method that led, at end, to some results, the most important of which are: the values affect directly the development and the underdevelopment of the societies; every society has its own ways at finding solutions towards the development; and the values, with their rich variables, can provide solutions towards the development.

Keywords: Values, Development, Sudanese values, Developmental values.

المقدمة

تمهيد :

حظيت دراسة القيم بنصيب وافر من الاهتمام في العلوم الاجتماعية المختلفة باعتبارها متغير له أهميته في كل مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وقد تباينت محاور تناول القيم وتحليها وتفسيرها بدءاً من الفلاسفة الذين اختلفت رؤاهم حول مدلول ومعنى القيم ، والذين اصطبغت نظرياتهم عنها بصبغة ميتافيزيقية مجردة ، مروراً بعلماء النفس الذين عنوا بدراسة القيم وعلاقتها بالعديد من المتغيرات النفسية والسلوكية

ساد اعتقاد في السابق أن خبراء التنمية من الغرب قد سعوا لمواجهة مشكلة التنمية وتوفير الحلول لها بناءً على أسلوب علمي أمثل ، والافتراض السائد أن الرشادة الغربية (العلمانية الغربية) هى الأكثر تقدماً وسمواً ، وأنه فقط في حالة إنحراف الآخرين عن السنن الغربية يتعين عليهم مواجهة متطلبات التنمية ، ومن هنا يتحقق التنمية فقط من خلال العودة لخط المعرفة العالمية .

إلا أن الجزم من أن الطريق العلمي هو المخرج من التخلف قد اهتز مع استمرار المعدلات العليا من الفقر ، وتزايد للفجوة الاقتصادية بين الدول ، ومن هذا المنطلق بدأت أحد أهم مسارات النقد الموجه لهذه الأفكار ، وجاءت الإنتقادات من نفس البيت الغربي ، وذلك لحلحلة هذه المشاكل التنموية .

لقد اعتقدوا بأن هناك معارف مغايرة لحضارات مختلفة عنهم قاطنة في أمكنة أخرى ، قد تكون متساوية أو حتى أفضل قيمة خاصة للتنمية ، وهذا ما يقودنا إلى القول بان الإعتراف بالمعرفيات المحلية لكل حضارة أصبح واجباً ، والتي من الواجب أن توفر لجماعتها التنموية خبرات بديلة لتتحدى منظور التنمية التقليدية ، بطريقة تسمح بتمكين واعد لشعوبها التي ساد تجاهلها ردحاً من الزمن .

مشكلة الدراسة :

لقد سعت المجتمعات منذ تحررها من الاستعمار إلى تبني وتطبيق نماذج تنموية غربية ، وعدتها بمثابة النماذج القدوة بمختلف مفاهيمها ، وسعت بذلك إلى نقل التكنولوجيا والتصنيع وحتى أساليب الحياة ، غير أنه وبعد أكثر من سته عقود إنتهت إلى نتائج مؤسفة مادياً ومعنوياً ، وتبين أنها غير متوافقة مع السياق التاريخي لواقع المجتمعات النامية كونها تحمل في مضمونها مفهوماً ايديولوجياً .

ولهذا تسعى الدراسة للإجابة عن مجموعة من التساؤلات يعتقد الباحث أنها ضرورية لوضع حلول للكثير من المشكلات للوصول إلى تحقيق التنمية وهى :

-كيف يمكن أن يفقد النظام القيمي الحقيقي لوجوده وتكامله ؟

-هل بإمكان كل حضارة أن تنتج لنفسها أفقاً تنموياً من خلال فهمها ومعايشتها لقيمها ؟

-ما الذي يحدث لقيم المجتمعات التي تفقد قدرتها على تمثل القيم الخارجية ؟

أهمية الدراسة :

تبرز أهمية هذه الدراسة من الأهمية البالغة للقيم في تحقيق أهداف التنمية ، المتمثلة في تحقيق المطالب الضرورية لكل فرد في المجتمع الروحية والمادية .

أهداف الدراسة :

تسعى الدراسة لتحقيق الأهداف التالية :

١-التعرف على الدور الذي تقوم به عملية القيم في تحقيق عملية التنمية .

٢-إبراز دور القيم التي تشكل قناعة للمجتمع في تحقيق متطلباته الروحية والمادية .

٣-إبراز أهمية النظام الاجتماعي القائم على مبادئ وقيم في تنظيم الحياة الاجتماعية للمجتمع وتوجيهها نحو الأهداف الحقيقية للتنمية .

منهجية الدراسة :

يعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج التحليلي .

١- المفاهيم

مفهوم القيم

أصبحت القيم هى السياق والقاعدة الاجتماعية للتنمية ، وهى في نفس الوقت هدف التنمية . إن التنمية لابد أن تتفاعل مع الواقع الاجتماعي للمجتمع ، أي أن تكون نابعة من الخلفيات الحضارية لهذا المجتمع ، لأن هدف التنمية هو الحفاظ على الخصائص الحضارية للمجتمعات .

تتعدد التعريفات حول كلمة قيم ومفردها قيمة ، إذ يعرف بعض الباحثين كلمة قيمة بمعنى الفائدة ، وهو تفسير يشير إلى المنفعة التي يجنيها الفرد من ورائه(دياب ، ١٩٨٥:٢٣) ، ويعرفها آخرون بأنها الحكم الذي يصدره الشخص على شيئ مهتدياً بمجموعة من القيم والمعايير التي وصفها المجتمع الذي يعيش فيه والذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه في أنماط السلوك(عبدالقادر ،٢٠١٠:٢٦) ، أما كلاكون فيشير إلى الإنسان حيوان مقوم – اي يصدر احكاماً على الأشياء هذا خير وذاك شر(دياب ،١٩٨٥:٢٧) ، ناحية أخرى أشار لها الباحثون وهى أن القيم منها الإيجابية والسلبية .

لعل قيام الفلاسفة والعلماء بدراسة موضوع القيم يعكس الاهتمام الكبير بتحليل طبيعتها ، ذلك لانها تتصل بكل مجالات الحياة الاجتماعية والنفسية والعقلية للأفراد والجماعات ، وأنها تلعب دوراً بارزاً في تحديد جوانب السلوك الإنساني وتوجيهه ، ومن هذا المنطلق كانت دراسة القيم ومازالت محور خلاف أساسي بين الإتجاهات الفكرية ، مما أدى بالقول بأنه في ميدان القيم نجد جذباً في النظريات المتناسقة ، وخصباً في النظريات المتضاربة(اليمين ،٢٠١٠:١٩) . لذا يجدر بنا في هذه الدراسة تيسيراً للفهم أن نميز بين ثلاثة منظورات رئيسية في تفسير طبيعة ومصدر القيم .

المنظور الفلسفي :

إذا كانت الأشياء ما يعني الإنسان أمره ، وضع لها قيمة أو قدرها ومن البديهي أن الأشياء إن لم تكن معظمها لا تقوم إلا من حيث أنها وسيلة لغاية ما ، ولكن بعض الأشياء قيمتها في ذاتها ، لأنها غايات في نفسها لا وسائل لغيرها ، وتسمى القيم من هذا النوع الأخير بالمثل العليا ، وهى وحدها موضع بحث الفيلسوف ، وقد جرى العرف باعتبارها ثلاثة الجمال ، الخير والحق(الأسد ،٢٠٠٠:٥٢) .

والقيم في المنظور الفلسفي تنقسم إلى ثلاثة أقسام تنضوي تحتها شتى المعاني التي تضبط مسالك الإنسان في حياته وهى الحق والخير والجمال ، وفي مقابل ذلك تأتي هذه الأوجه الثلاثة التي تحلل من خلالها حياة الإنسان الواعية وهى : الإدراك والسلوك والوجدان ، فالإدراك يفترض أن إدراكاً صحيحاً حتى يكون السلوك سليما وهنا تبدو قيمة الحق ، فالإنسان بفطرته ينشد الحق ، أما السلوك فيقيس الإنسان صوابه بمقياس الخير الذي هو قيمة عنده ليس له عنها غنى حتى وهو يقترف الآثام ويفعل الشر ، هاتان قيمتان تمليها عليه فطرته ، أما القيمة الثالثة فهى حلقة وسطى تقع بين الإدراك من ناحية وبين السلوك من ناحية أخرى وهو ما يطلقون عليه الحالة الوجدانية ، وهى رغبة الإنسان أن يحس هذه الحالة بما يشيع فيه الطمانينة والرضا ، وعلى أساس هذه القيمة يختار ثيابه ومسكنه وأثاثه(الشيباني ،١٩٩٥:٣٠)....الخ .

الدارس لإسهمات أصحاب المنظور الفلسفي في تحليلهم للقيم يلاحظ إنقسامهم إلى قسمان ، ما إذا كانت قيم الأشياء تحدد بمعزل عن خبرة الناس بها في الحياة الواقعية أم أن قيمة الأشياء في حياة الناس تشتق من خبراتهم بها ، وهذان القسمان هما : اتجاه الفلسفة المثالية أو العقلية واتجاه الطبيعية ، أما اتجاه الفلسفة العقلية فهى تقول باستقلال القيم وإنعزالها عن الخبرة الإنسانية ، فلسفة افلاطون على سبيل المثال تجعل مصدر القيم الإنسانية خارجاً عن الحياة والخبرة الواقعية للإنسان وأن مصدرها عالم المثل وهو عالم ثابت ومطلق ، وكذلك كانط فيرى أن مصدر كل من الحق والجمال والاخلاق هو العقل ، وذلك لأنه هو الذي يعطي للخبرات الحسية شكلها الخاص الذي ندركه ، ولا شك أن تقديس المثاليين للعقل باعتباره في نظرهم المصدر الوحيد للقيم . كما أن نظرتهم هذه للإنسان من حيث وضع مبادئ عامة لسلوكه الإنساني أمر يفنده الواقع ،وذلك أن طبائع الأفراد تختلف بإختلاف ظروفهم في كل زمان ومكان ، وأن أحكامهم القيمية تتباين بتباين الوسط الاجتماعي والثقافي ، ولذلك تكون طبيعة القيم من حيث عموميتها كما يراها بيرتراند راسل ذاته من حيث هى صادرة عن الذات الموضوعية من حيث هى ملتقى الناس جميعاً(المحيا ،١٩٩٤:٣١) .

كما نجد مغالاة أيضا لدي أصحاب النزعة الوجودية ، في نظرتهم نحو تحديد مصدر وطبيعة القيم ، فيعتبرون أن القيم التي نتمسك بها أو نتطلع إليها هى نتاج عادات فكرية يكونها الإنسان حول الموضوعات أو الأشياء ، ومن هذه الزاوية يلتقي القيم مع مفهوم الخبرة الإنسانية لأن الخبرة الإنسانية تجمع الجوانب المعرفية والجمالية ، مما يعني أن مجال القيم لدي هؤلاء الفلاسفة يشمل كافة جوانب النشاط الإنساني ، فالقيم إذن ليست مستقلة عن الموضوعات التي ترتبط بها مفاهيم الناس .

المنظور النفسي :

يرى ماكس فيبر أن القيم هى " مجموعة التصديقات السيكولوجية المتولدة عن الاعتقاد الديني ، والممارسة الدينية التي تعطي توجيها للسلوك العملي الذي يلتزم به الفرد(مرسي ،١٩٩٩:١٩٦) ، كما تعُرف على أنها " تنظيمات لأحكام عقلية إنفعالية مصممة نحو الأشخاص والأشياء والمعاني التي توجه رغباتنا واتجاهاتنا نحوها ، والقيمة مفهوم مجرد ضمني ، غالباً ما يعبر عن الفضل أو الإمتياز ودرجة التفضيل التي ترتبط بالأشخاص أو الأشياء أو المعاني(خاطر ،١٩٩٩:١٨٨) ، أو بأنها " حالات إدراكية واقعية توجه جميع أفعال الفرد في مختلف أفعال الفرد في مختلف المواقف الفردية أو الجماعية ، وأهم ما يميزها هو اتصالها بثقافة المجتمع وحضارته مباشرة(بن الدباغ ،ب.ت:٧٦) .

حاول هذا المنظور أن يقدم إسهمات نظرية وامبريقية معتبرة في مجال معالجة القيم ، ومن ثم بلورة بعض جوانب طبيعتها ، من خلال محاولة الكشف عن حقيقة مهمة مفادها : أن القيم تلعب دوراً بارزاً في تكوين شخصية الفرد والتأثير في اتجاهاته المختلفة ، وذلك بالنظر إليها كمحدد من محددات السلوك الإنساني، وفقاً لهذا المنظور فإن التقويم عملية نفسية باطنية تخلع القيم عن الأفعال والأشياء الخارجية بمقتضى الرغبة والإهتمام .

من خلال السرد السابق نقول الإنسان ليس عقلاً خالصاً كما يصوره المثاليون ولا حساً محضاً كما يراه السيكولوجيين ، ولكن وحدة عقلية وحسية ، أنه يتميز عن باقي الحيونات بالتفكير والإرادة ، ولا يكتفي بما تمليه عليه رغباته فقط ، فعندما يواجه موقفاً يلجأ أيضا إلى الإحتكام العقلي ، مسترشداً بالقيم والمعايير التي تدين لها الجماعة بالولاء ، والتي ينتمي إليها فيختار من بين البدائل ما يراه مرغوباً فيه ويتحاشى ما هو مرغوب عنه .

المنظور الاجتماعي :

مفهوم القيمة من خلال هذا المنظور هو ذلك الحكم الذي يصدره الإنسان على شئ ما ، مهتدياً بمجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه ، والذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك ، والقيمة تتضمن قانوناً أو مقياساً له نوع من الثبات على مر الزمن في المجتمع ، أو بعبارة أخرى تتضمن دستوراً ينظم نسق الأفعال والسلوك ، فالقيمة – حسب كلاكون – مفهوم تجريدي للمرغوب فيه الذي يؤثر على اختيارتنا من عدة بدائل لطرق ووسائل وأهداف السلوك(دياب ،١٩٨٥:٥٢) ، وبالتالي تشتمل القيم كل الموضوعات والظروف والمبادئ التي أصبحت ذات معنى خلال تجربة الإنسان الطويلة ، إنها باختصار الإطار المرجعي للسلوك الفردي والجماعي(الجوهري ،١٩٩٩:١٩٦) ، كما ينظر إلى القيم كذلك على أنها معتقدات تحدد كيف يجب أن نتصرف وأهمية أهدافنا .

ويرى علماء الاجتماع الغربين أن القيم من صنع المجتمع ، وأنها تعبيراً عن الواقع ، فالقيم حقائق واقعية توجد في المجتمع ، وتعتبر عنصراً مشتركاً في تركيب البناء الاجتماعي ، ويحاول عالم الاجتماع عند دراسته للقيم أن يحللها ويفسرها ويقارن بين الجماعات المختلفة وتأثير القيم في السلوك(فرح ،١٩٨٠:٣٨٠) ، لذلك فقد طرحت قضية سوسيولوجية القيم كأحد المحاور الرئيسية التي أنشغل بدراستها العديد من الباحثين السوسيولوجيين ، بالرغم من وحدة المنظور لدي هؤلاء الباحثين في معالجتهم للقيم إلا أنهم يختلفون في تفسير طبيعتها وأسباب تغيرها.

ولو حللنا مدارس علم الاجتماع المختلفة لوجدنا ظهور مفهوم القيمة ضمنا أو صراحة في كافة المدارس بداية من المدرسة الفرنسية وخاصة عند اميل دور كايم ، الذي حدد مكونات الظاهرة الاجتماعية بأنها " نظم اجتماعية لها صفة الضغط والإلزام كما أنها تتكون من الرموز الاجتماعية والقيم والأفكار والمثل وتأكيده على مفهوم الضمير الجمعي في تحديد الضبط داخل المجتمع " ، أما المدرسة الانجليزية على رأسها هربرت سبنسر وما طرأ على النظرية العضوية من تغيرات أدت إلى ظهور نظرية التطور التي تؤمن في أساسها بتعديل نسق التوقعات بين الوحدات ومن ضمن التوقعات لابد وأن تكون القيم السائدة في المجتمع هى من الإعتبارات الأساسية في تحديد هذه التوقعات(خاطر ،١٩٩٠:١١٢) ، أما المدرسة الالمانية وعلى رأسها ماكس فيبر كان لها اهتمام بتأثير القيم وتدخلها في تحديد مسار الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، أما المدرسة الأمريكية ولنأخذ على سبيل المثال لا الحصر كل من سوركين وتالكوت بارسونز ، فسوف نجد أن الأول منهم حاول الوصول إلى تعميمات عن التغير الاجتماعي والثقافي من خلال تاريخ

الإنسانية كمؤشر محدد للقيم ويعبر عن التفاعل على أساس أنه ظاهرة اجتماعية ثقافية تتكون من ثلاث عناصر :

١–الشخصية كفاعل

٢–المجتمع باعتباره المجموع الكلي للمتفاعلين

٣–الثقافة هى المجموع الكلي للمعاني والقيم والمعايير الناشئة عن الشخصيات المتفاعلة .

وبالتالي نبحث عن القيم من خلال تتبع الأشكال الثقافية ، أما تالكوت بارسونز فنجد في نظريته عن الفعل الاجتماعي تأكيده على أن الموجهات الدافعية أو القيمية هى إحدى أركان الفعل الاجتماعي ، ومن ثم تحقيق قيم في أدوار ومواقف ، وهو ما يتضمنه الإطار الرجعي للفعل(اليمين ،٢٠١٠:٢٤).

يكشف العرض التحليلي لإسهمات المنظور الاجتماعي في تفسيره للقيم وتحديد أبعادها أنه ينطوي على مجموعة من الإتجاهات المتباينة من حيث طريقة التحليل والمتفقة من حيث تأكيدها على الإطار الاجتماعي الذي يحدد القيم ، أي أن الفرد يستمد قيمه من نظم مجتمعه وعاداته وتقاليده ، أي ثقافته ، فالقيم ليست إلا تعبيراً عن رغبات الأفراد في إرضاء المجتمع الذي ينتمون إليه ، غير أنه يلاحظ في هذا التصور نوع من المبالغة في تجسيد شخصية المجتمع حتى توارت إلى جانبها شخصية الأفراد.

إن أصحاب المنظور الاجتماعي إذن مضطرون إلى دراسة القيم كما تبدو في مجتمع بشري يرتبط بمكان معين وزمان محدد ، ويخضع لظروف بعينها ، وأن أحكام القيمة تقبل الحكم عليها بالصدق والكذب على أساس من الأدلة التجريبية(قنصوة ،١٩٨١:٦٦) .

لقد كان لمختلف المنظورات السابقة العرض ، منطلق مشترك مفاده أن الإنسان كائن اجتماعي وأخلاقي، أي لابد له أن يعيش مع غيره من الأفراد ويتفاعل معهم في مجتمع منظم ، ذلك أنه يتميز دون سائر الكائنات الحية بالتأمل العقلي وحرية الأختيار ، إذ ينفرد بالتبصر والإدراك ، مما يجعله ينزع بإرادته إلى الإستعلاء فوق حيوانيته والتطلع بعقله إلى مستقبل أفضل ، فهو ينشد مثلا عليا يدين لها بالولاء ويعمل على التحكم في أهواءه ونوازعه في ظل قيم عليا توجه سلوكه وتحكم علاقته الاجتماعية بغيره من الأفراد.

تصنيف القيم :

أن البحث في موضوع القيم يثير أهمية تصنيفها رغم التعقيدات المتضمنة في مفهومها . وفي هذا المعنى يقول سورلي " من المستحيل أن تكون هناك قاعدة يمكن على أساسها تحديد كل أنواع القيم(دياب ،١٩٨٥:٧٤) " ، ورغم ذلك فلقد اهتم الكثير من المشتغلين في العلوم الاجتماعية بهذه المسألة ، وقد أصبح

تراث هذه العلوم يتوفر على قدر من المحاولات في مجال تصنيف القيم ، أن هذا التنوع يعود بالدرجة الأولى إلى الإختلافات في وجهات النظر والتباين في المداخل الفكرية التي تحاول تحليل موضوع القيم .

هناك من العلماء من قدم تصنيفاً للقيم مستنداً إلى خصائصها كتصنيف جوليتلي الذي ميز بين القيم الأساسية والقيم الفرعية ، وتصنيف كيرت لوريس حين صنف القيم إلى جوهرية وطارئه ، أما كلاكهون فقدم تصنيف يشير إلى وجود قيم عامة في المجتمع ككل وقيم خاصة بجماعات اجتماعية معينة (عبد المعطي ، ١٩٧٤م، ١٧٥) ، هذا التصنيف يستند إلى معيار درجة انتشار القيم في المجتمع .

كما تم تصنيف القيم إلى اتجاهها المرتبط بالنمط البنائي للمجتمع كما فعل روبرت ردفيلد عندما ميز القيم على أساس نوع المجتمع الشعبي القديم الذي تسوده القيم التقليدية المحافظة والمجتمع الحضري الذي تسوده القيم العقلية العلمانية ، كما يوجد هناك من العلماء من صنف القيم بناء على وظائفها الاجتماعية ، أي ربط كل قيمة بنظام اجتماعي معين ، كما فعل ايميل دور كايم وغيره من أنصار الاتجاه البنائي الوظيفي في علم الاجتماع (عبد المعطي ، ١٩٧٤م ، ١٧٧) ، كما حدد المهتمون بدراسة القيم أيضا مجموعة من الأبعاد يمكن أن يتم في ضوئها تقديم تصنيفات معينه لها ، كما هو الشأن عند سبرينجر في كتابه أنماط الرجال حيث تكلم عن أنماط سته من القيم وهى :

١–القيم النظرية : وتتمثل في اهتمام الفرد وميله للكشف عن الحقائق متخذاً في ذلك اتجاها معرفياً في العالم المحيط به ، حيث يوازن بين الأشياء على أساس ماهيتها ، كما أنه يسعى وراء القوانين التي تحكم هذه الأشياء بعيداً عن قيمتها العملية أو إلى الصورة الجمالية لها .

٢–القيم الدينية : وتتمثل في توجيه الفرد اهتمامه وميله إلى معرفة ما وراء العالم الظاهري ، حيث يعتقد أن هناك قوة تسيطر على العالم الظاهري الذي يعيش فيه ، وهو يحاول ربط نفسه بهذه القيمة .

٣–القيم الاقتصادية : وتتمثل في ميل الفرد واهتمامه إلى ما هو نافع ، ويتخذ من العالم المحيط به وسيلة للحصول على الثروة عن طريق الإنتاج واستثمار الأموال واستهلاك البضائع .

٤–القيم السياسية : وتتمثل في اهتمام الفرد وميله للحصول على القوة ، ومن ثم فإن الفرد يهدف إلى السيطرة والتحكم في الأشخاص أو الأشياء وتوجيه مصائر غيره من الناس .

٥–القيم الجمالية : وهى تلك القيم التي تمثل بما هو جميل من ناحية الشكل ، وكذلك ينظر الفرد إلى العالم المحيط به نظرة تقدير من ناحية التكوين والتنسيق والتوافق الشكلي .

٦–القيم الاجتماعية : يقصد بها اهتمام الفرد وميله إلى غيره من الناس وبالتالي التفاعل مع محيطه الاجتماعي ، لذلك يتوجه اهتمام الأفراد نحو خدمة غيره ، ومساعدتهم ، ومن ثم النظر إليهم على أساس أنهم غايات وليسوا وسائل لغايات(دياب ،١٩٨٥:٧٥) .

إن هذا التصنيف الذي أورده سبرانجر للقيم لا يعني أن أفراد المجتمع يتوزعون تبعاً لهذه الأنواع الستة من القيم توزيعاً مفرداً بل توجد مجتمعه في كل فرد ، غير أنها تتباين في تدرجها من فرد إلى آخر بحسب قوتها ووضعها داخل نفسية الفرد والمحيط الذي يعيش فيه بل ينبغي الإشارة إلى أن هذه القيم تعد مبادئ أساسية في نظره ، والتي يمكن أن توجه مجرى الفعل وتغيره بالنسبة للأفراد والمجتمعات ، وهذه الأنواع من القيم تتحكم في علاقات الأفراد وتحدد ممارساتهم في مختلف الأنشطة وميادين الحياة ، غير أنه لم يحدد العلاقة بين هذه القيم من حيث الشمول والتأثير خاصة بين هذه الأصناف الخمسة التي أوردها للقيم والقيم الدينية ، كما أن هذا التصور للقيم الدينية على أنها ترتبط فقط بمحاولة معرفة ما وراء العالم الظاهري وأنها منفصلة عن الحياة الواقعية للإنسان هو نوع من القصور لتصور الحياة الدينية ، فلا يمكن تصور وجود قيم دينية لدي الفرد أو المجتمع منفصلة عن القيم الأخرى ، فالقيم الدينية في التصور الاسلامي تنبع من تصوره للكون والحياة والإنسان ، وهى من العقيدة ويرتبط بها ولا يمكن تصورها منفصلة ومفردة أو مجردة ، إنما هى قيم متكاملة ولا يمكن الإيمان بإحداها دون الإيمان بمجموعها .

أن عرض هذه النماذج التصنيفية للقيم له أهميته من جانب الإستفادة من محاولة بلورة بعض جوانب موضوع القيم لأن الهدف من القيم هو تحقيق غاية الوجود الإنساني ، وميزان أهمية القيم لدي الفرد أو المجتمع هو مدى أداء كل إنسان لوظيفته في الأرض والقيام بدوره في الحياة ، وهو ما من شأنه أن يساهم في تحديد طبيعتها وخصائصها ودورها في الحياة الاجتماعية ، فالمجتمع هو الذي يغرس القيم في الأفراد ، ويوفر لهم منظومة قيمية عبر مؤسساته الاجتماعية المختلفة ، وبهذه الصورة توفر القيم شروط الاستقرار والنمو للمجتمع .

مفهوم التنمية :

اقتصر التنمية في العديد من الكتابات على الجانب المادي وارتبط إلى قدر بعيد بزيادة الإنتاج والإستهلاك ، وأصبحت حضارات الأمم تقاس بمستوى دخل الفرد ، ومدى استهلاكه السنوي للمواد الغذائية والسكنية .....الخ ، بعيداً عن الاهتمام بتنمية خصائصه ومزاياه الإنسانية ، وإعداده لأداء الدور المنوط به في الحياة ، لتحقيق الأهداف التي خلق من أجلها ، وقد سيطرت هذه النظرة المادية لعملية التنمية في عقول

معظم بلدان العالم النامي وسيطرت على تفكيرهم ، نتيجية الهيمنة الغربية وسيطرة ثقافتها ، لكن هذا المفهوم للتنمية الذي يجعل من الإنتاج والإستهلاك مقياساً لها بحيث إذا توفر نمو وزيادة في الإنتاج كانت هناك تنمية وإذا انتفى انتفت ، قد ضيق من مفهوم التنمية في المجتمعات الإنسانية وحصر طاقات الإنسان المتنوعة في طاقة واحدة هى الطاقة المادية المتمثلة في الإنتاج والإستهلاك لما أنتج ، وإن كان هذا المقياس قد حقق نجاحاً باهراً في البيئة الغربية ، لأن هذا التوجه في العملية التنموية كان متماشياً ومنسجماً مع النظرة الغربية للكون والإنسانية والحياة ، فالواقع يشهد بخلاف ذلك ، فالتنمية عملية تشمل الجوانب المادية كما تشمل أيضا الجوانب الروحية وهما جانبان متكاملان ، تنم عن النظرة الشمولية للحياة الإنسانية ومتطلباتها ، وأما في البلدان النامية التي تبنت هذا المفهوم للتنمية رجاء حصول نمو وتطور باء بالفشل ، لا لضعف في الموارد البشرية أو لقلة في الموارد الطبيعية ، ولكن لأن هذا التصور المادي للتنمية بختلف كثيراً عن المنظومة الحضارية والثقافية لبلداننا وهو ما يبرر فشل السياسة التنموية التي انتهجت لحدِ الآن .

وعلى الرغم من ظهور توجه نحو التنمية الاجتماعية ، فإن بعضاً من علماء الاقتصاد حاولوا تسخير التنمية الاجتماعية لخدمة التنمية الاقتصادية بحيث تستثمر الأولى لحساب الثانية ، هذا التصور للتنمية الاجتماعية نجده عند هيجنز الذي يعدها عملية استثمار إنساني تتم في المجالات أو القطاعات التي تمس حياة البشر مثل التعليم ، الصحة العامة ، الإسكان ، والرعاية الاجتماعية.....الخ ، بحيث يوجه عائد تلك العملية إلى النشاط الاقتصادي الذي يبذل في المجتمع ، ولكن علماء الاجتماع يخطئون هذا المفهوم للتنمية ويرون أنها " العملية التي تبذل بقصد ووفق سياسة عامة لإحداث تطور اجتماعي إقتصادي للناس وبيئاتهم ، سواء كانوا في مجتمعات محلية أو اقليمية أو قومية ، بالإعتماد على المجهودات الحكومية والاهلية المنسقة ، على أن يكتسب كل منهما قدرة أكثر على مواجهة مشكلات المجتمع نتيجة لهذه العمليات ، على هذا الأساس أعتبر جابريال لوبرا أن التنمية ليست ظاهرة اقتصادية بحتة وإنما هى مجموعة من الظواهر من نوع مختلف ذات طبيعة سوسيولوجية وسيكولوجية(الجوهري ،١٩٩٩:١١٥) .

ويقصد بالتنمية أيضا أنها " عملية تغير ثقافي دينامي متصلة وواعية ، وموجهة في إطار اجتماعي معين ، وترتبط عملية التنمية بإزدياد أعداد المشاركين من أبناء الجماعة في دفع التغير وتوجيهه ، وكذلك في الإنتفاع بنتائجه وثمراته(التابعي ،١٩٨٥:١٠١) . وبالنالي فالتنمية من خلال هذا التعريف هى شكل من أشكال التغير الاجتماعي والثقافي .

كما تَعرف كذلك على أنها " التحريك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال عقيدة معينة ، لتحقيق التغير المستهدف بغية الانتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب فيها(بكار ،٢٠٠١:١٠) ، وبالتالي لا يمكن من الناحية العملية الفصل بين التنمية الاجتماعية والتنمية الاقتصادية . فعملية التنمية الاقتصادية ذاتها لا تتم إلا داخل إطار اجتماعي تتفاعل ضمنه مجموعة من النظم والمتغيرات المتكاملة ذات البناء التاريخي(غربي ،٢٠٠٣:٣٥) .

تعددت المداخل النظرية التي تحاول معالجة قضية التنمية ، والتي تشكل تراثها النظري ، إلا أن حداثة استخدامه في التراث الاجتماعي جعل مختلف الدوائر العلمية تستخدمه في سياقات متباينة ، وهنالك اتجاهان تناولت قضية التنمية أحداهما مادي والآخر مثالي :

الأتجاه المادي يتبع الفكر بالمادة ، ويرى أن التغير يخضع لعوامل موضوعية ، فنعالجه من خلال آراء كارل ماركس في دراسته للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في غرب أوربا ، وفي مناطق أخرى من العالم، والذي قدم من خلالها تصوراً عن تطور المجتمعات الإنسانية يكون فيه الأساس الاقتصادي المحدد الأساسي والمباشر لطبيعة المجتمع ، أي أن أسلوب الإنتاج هو الذي يحدد الشكل العام للعمليات الاجتماعية والسياسية والروحية في الحياة ، وتؤكد أغلب الدراسات السوسيولوجية أن كارل ماركس (١٨١٨م – ١٨٨٣م) أرسى دعائم الأتجاه المادي ، وعلى هذا النحو تعتمد قاعدة هذا النمط للتنمية على الحتمية الاقتصادية التي تعتبر أن العامل الاقتصادي الذي يتكون من الوسائل التكنولوجية للإنتاج هو العامل الأساسي المحدد لبناء المجتمع وتطوره ، وهنا يعني تحديد التنظيم الاجتماعي للإنتاج ، أن طبيعة العلاقات الإنسانية تنمو مستقلة عن الإرادة الإنسانية ، وينظر ماركس إلى مكانيزمات التغير في ضوء الإطار الجدلي لهيجل بتطبيقه ليس على الروح كما فعل هيجل ، وإنما على المادة(أبوكريشة ،٢٠٠٣:٥٨) ، حيث استخدم ماركس هذا الإطار الجدلي في تحليل المجتمع الرأسمالي الذي واكب الثورة الصناعية والذي يتجلى في وجود طبقتين (البرجوازية والبروليتارية) حيث يرى أن الصراع بينهما حتمي وسوف يؤدي هذا الصراع من خلال الوعي الطبقي إلى تدمير النظام ليرثه النظام الاشتراكي الذي يتميز بالملكية الجماعية لوسائل الإنتاج وظهور مجتمع بلا طبقات .

أن أهم المفاهيم السوسيولوجية التي عالج من خلالها ماركس قضية التنمية هى العوامل الاقتصادية (الظروف المادية) التي تحدد بدورها النظم القانونية والسياسية والدينية والفلسفية ،مفهوم الصراع يعده ماركس

بمثابة ثورة دافعة للتقدم وأن المراحل التاريخية مراحل حتمية بفعل التطور الجدلي للمجتمع ، وبالتالي فالتنمية عملية ثورية تستهدف إحداث تغيرات جذرية في البناء الاجتماعي .

كما تضمنت المعالجة الماركسية للتنمية إشارة إلى التأثيرات التبادلية بين التنمية الاقتصادية والقيم ، حيث ذهب إلى أن البناء الفوقي (الايدولوجيا ، القانون ، المعايير والقيم) ، ما هو إلا إنعكاس للبناء الاقتصادي الاساسي ، وأن أي تغير في البناء التحتي (الإنتاج ، وسائل الإنتاج ، علاقات الإنتاج) يصاحبه تغير في البناء الفوقي ، أي أن التنمية الاقتصادية تؤدي إلى تغير النسق القيمي وتشكله ، كما أن البناء الفوقي قد يؤخر عملية التطور أو يعجل بها(التابعي ،١٩٨٥:١٠٥) .

وفقاً لهذا المنظور أن القيم باعتبارها مكوناً من مكونات البناء الفوقي قد يكون لها تأثير سلبي في التنمية فتعوق وتؤخر عملية التنمية ، كما أنها من ناحية أخرى لها تأثيرات إيجابية على التنمية فتعجل بها ، وبالتالي أكدت الماركسية على ضرورة توافق القيم مع أسلوب الإنتاج لما للنسق القيمي من تأثير بالغ على مكونات البناء الاجتماعي وعملية التنمية ، ولذا لا ينبغي إسقاط النسق القيمي عند وضع الخطط والبرامج الإنمائية.

أما الاتجاه الثاني فيتبع المادة بالفكر ويرى أن الأفكار علة التغير الاجتماعي ، أي أن وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم الاجتماعي وتفسر من خلاله ظواهر التفكك والصراع والتوازن والتخلف والتنمية ، في ضوء متغيرات سوسيولوجية وسيكولوجية .

وعلى هذا الأساس أهتم ماكس فيبر بالكشف عن القيم والاتجاهات السيكولوجية التي أدت إلى نمو النظام الرأسمالي ، بالرجوع إلى الأنساق الفكرية والقيمية ، تلك الأنساق القادرة في نظره على تحقيق التكامل والأستقرار والتوازن والنظام(بيومي ،٢٠٠٣:٢٧٢) .

تجدر الإشارة إلى أن ماكس فيبر أهتم بدراسة نفس الظاهرة التي أهتم بها كارل ماركس وهى نشأة الرأسمالية كأسلوب للتنمية ، رغم الأختلاف في تفسير نشأة النظام الرأسمالي ، فوفق المنظور الماركسي نشأ نتيجة لتطور أسلوب الإنتاج وعلاقات الإنتاج وتناقضها ، ومن منظور ماكس فيبر نشأت الرأسمالية الحديثة من خلال العقيدة البروتستانتية ، وأن هناك تأثيرات تبادلية بين الظواهر الدينية والظواهر الاقتصادية وانتهى إلى أن العقيدة البروتستانتية هى القوة التي أنتجت نمطاً جديداً للشخصية وبثت روحاً جديدة في مواقف العمال وأصحاب العمل ، وأدت في النهاية إلى نمو الرأسمالية الحديثة(بركات ،٢٠٠١،٢٨٨).

غير أن أهم ما يعنينا ونحن بصدد الكشف عن تأثير القيم في التنمية هو أن ماكس فيبر حاول الكشف عن التأثيرات التبادلية بين القيم الدينية والظواهر الاقتصادية ، وتتمثل في أن القيم الدينية البروتستانتية تمثل قوة معجلة للتنمية وسنداً ودعامة أقيم عليها النظام الرأسمالي الحديث.

وباختصار كما يرى التابعي " أن معالجة ماكس فيبر لقضية العلاقة بين القيم الدينية والتنمية الاقتصادية ونشأة النظام الرأسمالي ، قد انطلقت من النزعة البنائية التاريخية ، وتضمنت أفكاراً وقضايا ارتبطت بالواقع الأوربي والغربي ، ذلك الواقع الذي تحيز له ، أن هذا الاتجاه قد أفاد في إلقاء الضوء على الدور الذي تلعبه القيم الروحية في التنمية ، والتأكيد على أن القيم تمثل مطلباً أساسياً من متطلبات التنمية ينبغي عدم إغفاله(غربي ،٢٠٠٣:٨٩) .

من خلال هذا التحليل يمكن التأكيد أن هذه الاتجاهات السوسيولوجية عجزت عن فهم وتفسير مقولات وقضايا التنمية بشكل عام ، وعليه فإن معالجة قضية التنمية في المجتمعات النامية لابد أن تنطلق من مقوماتها القيمية وما تحتويه من عناصر أصيلة منبثقة من واقع ثقافتها ودينها ، فالتنمية يجب أن تكون مبنية على النموذج القيمي المحلي ، ويجدر بنا نستنبط هذه القيم والتخلص من مجرد تكرار الأنماط التنموية الغربية .

٢– التنمية والتخلف

تضاربت آراء الباحثين في تفسير ظاهرة التنمية والتخلف التي تعاني منها كثير من المجتمعات في الدول النامية . ويمكن للقارئ هنا أن يميز بين اتجاهين رئيسين في تفسير هذه الظاهرة .

الاتجاه الأول يرد أسباب الظاهرة إلى عوامل خارجه عن الإنسان تتصل بالموارد الطبيعية والمناخ والسلالة ، وأتجاه آخر يرد هذه الظاهرة إلى عوامل داخلية تنبع من الإنسان كالعوامل النفسية والثقافية ..... وفيما يلي نتاول لأهم هذه المقولات :

١–الاتجاه الأول : ويمكن تناولها في أطر التفسيرات التالية :

تفسير اقتصادي يربط هذا الاتجاه بين وفرة الموارد الطبيعية وتحقيق التنمية ومن أبرز رواد هذا الاتجاه الاقتصاديون الكلاسيكيون إذ يذهب أحدهم إلى القول :

أن التنمية الاقتصادية هى السبب وأن الفقر هو أساس المشكلة لو وفرنا للمواطنين الدخل الطيب لتمكن المواطنون من حل مشكلاتهم(الجوهري ،١٩٧٨:٨٦) .

يتضح من الفقرة السابقة أن الاقتصادين يتخذون من ارتفاع دخل الفرد شرطاً لتحقيق التنمية ، غير أن هذه النظرة لم تسلم من الانتقادلات منها أن التجارب التي مرت بها الدول الأوربية بعد الثورة الصناعية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وهى فترة شهدت ارتفاعاً ملحوظاً في مستوى دخل الفرد من جهه،

غير أنها شهدت في الجهة الأخرى مشاكل تمثلت في الإنحلال الخلقي وارتفاع تعاطي الخمور والمخدرات مع ارتفاع معدل كل من إنفصال الازواج والإنتحار.

ويضيف نفس الباحث بإن ارتفاع مستوى دخل الفرد قد يجلب البؤس والفقر لبعض شرائح المجتمع ما لم تكن مصحوبة بعدالة التوزيع .

ومؤخراً خلص تقرير التنمية البشرية الصادر عن البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة في العام ١٩٩٤م، بإن ما يهم هنا ليس ارتفاع دخل الفرد بل توظيفه ، فقد يرتفع الدخل ولكن الفرد قد يوجهه إلى شراء السلاح أو تعاطي الخمور أو على الطعام الضروري(برنامج الأمم المتحدة ،١٩٩٤:٥٦) . يضاف إلى ذلك أن هنالك حاجات أخرى يمكن تحقيقها مثل الحرية والديمقراطية.

أما فيما يتصل بوفرة الموارد الطبيعية كشرط لتحقيق التنمية فتكفي الإشارة هنا إلى تجربة شعب البيرو في امريكا الوسطى ، وهى دولة ذات إمكانيات مهولة يشبه سكانها بشحادين يجلسون على كراسي من ذهب(الجوهري ،١٩٧٨:٨٧) . وهناك بالمقابل دول أخرى تخلو اراضيها من الموارد الطبيعية ومع ذلك احرزت مستوى متقدماً من التنمية مثل سوسيرا التي لا تملك مصادر سوى مصادر مائية محدودة ، وبريطانيا التي لا تمتلك مصادر سوى بحر الشمال ثم اليابان التي لا تملك سوى كميات محدودة من الفحم ومع ذلك صارت في مصاف الدول المتقدمة. ويتبين من هذه الوقائع عدم الربط بين وفرة الموارد الطبيعية وتحقيق التنمية.

أما فيما يخص التفسير المناخي ، حيث ربط باحثون آخرون بين العوامل المناخية وتحقيق التنمية وخلصوا إلى تقسيم الكرة الأرضية إلى قسمين – قسم شمالي يمتاز بمناخ بارد يساعد في تحقيق التنمية وآخر جنوبي يتسم بمناخ حار لا يساعد على تحقيق التنمية ، غير أن هذه المقولة لم تمر أمام الانتقادات بدليل وجود مناطق تقع في مناخ بارد وكانت حتى وقت قريب في عداد المناطق المتخلفة مثل سيبريا وهولندا.

التفسير العنصري ويقوم هذا التفسير على التمييز بين الجنس الابيض الذي يمتاز بجينات ساعدته في تحقيق التنمية ، ثم الجنس الأسود الذي يتصف بالغباء والكسل ، غير أن نتائج الدراسات الانثروبولوجية الأخيرة لا تؤيد هذه النظرة وذلك لتساوي الجينات في كل من الجنسين الأبيض والأسود على السواء . ويرى باحثون أن الغرض من الترويج لهذه المقولات هو ايجاد مسوغات لهيمنة الرجل الأبيض على الأسود(الجوهري ،١٩٧٨:٩٠) . ولا يفوت على القارئ هنا نظرة المركزية الأوربية التي بنيت على التميز بين الرجل الأبيض والأسود استناداً على ما قال به بعض الكتاب مثل اليوت سميث الذي يقول :

كلما اتجهنا جنوباً كلما تدنى مستوى الحضارة ، بايجاز شديد يمكن القول بأن الاتجاه الأول الذي ربط بين التنمية والعوامل الخارجية تعرضت لانتقادات وبدأ الناس يبحثون عن عوامل أخرى يمكن على ضوئها تفسير التخلف والتنمية وبدأ هؤلا النظر للإنسان في ذاته .

الاتجاه الثاني : يعتبر هذا الاتجاه مناقضاً للإتجاه الأول إذ يعزي ظاهرة التنمية والتخلف في ضوء عوامل داخلية تنبع من الإنسان نفسه لا في عوامل خارجية ، ويرى بعض أصحاب هذا الاتجاه الاقتصادين أهملوا المحيط الثقافي والاجتماعي الذي يعيش فيه الإنسان بل أغفلت دور الإنسان في التنمية إلى أن جاءت الدراسات اللاحقة وكشفت عن دور مهم للإنسان في التنمية .

في هذا المعنى يتناول قدري دور الإنسان في التنمية فيقول أن وراء تكوينه العضوي (الإنسان) أموراً أخرى من قيم ، عادات وتقاليد واتجاهات يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند التخطيط للتنمية(صابر ،١٩٦٢:٥) . ويضيف بأن التنمية ليست تنمية للقطاعات الاقتصادية والفنية والبنى التحتية بل لا يقل عن ذلك إن لم يكن أكثر أهمية ، تنمية قطاعات الإنسان ولا أعني بالإنسان كتلة اللحم والدم بل ذلك الكيان المركب والكل المنسق من الأفكار والعادات والتقاليد ويمضي إلى القول بأن الفجوة بين ما تم من تقدم مادي من جهة وتخلف اجتماعي من الجهة الأخرى سببها أن خطط التنمية قلّما تأخذ في الحسبان العوامل الاجتماعية والثقافية في كثير من الاحيان ، والملاحظ أن الكثير من مشاريعنا الإنمائية تصرف مبالغ باهظة على دراسة الجدوى الفنية والاقتصادية وهى قضايا أساسية ومهمة ولكن مع هذا لا تصرف مبالغ في دراسة الجدوى الإنسانية .

ويضيف الجوهري (١٩٧٨م) بأن أسباب التنمية والتخلف لا ترجع إلى عوامل اقتصادية أو مناخية أو عنصرية بقدر ما ترجع إلى الإطار الثقافي الذي يعيش فيه الإنسان ويميز في هذا الصدد بين نوعين من المجتمعات على النحو التالي :

أ.المجتمع الاستاتيكي الذي يتميز بالجمود والاستسلام والتسليم للأمر الواقع دون السعي لتغيره ومحدودية التطلعات كما يبدو في الاغنية التالية في الهند وتقول :

آه ايتها الشمس

أفعل (افعلي) لنا شيئاً من الخير

واجعليني دائماً على أنا ما عليه(الجوهري ،١٩٧٨:١٢٣) .

وواضح ان شاعر/ شاعرة هذه الأغنية تسعى إلى المحافظة على الأوضاع على ما هى عليها بدلاُ عن التطلع لوضع أفضل.

ب.المجتمع الديناميكي ويتميز بالمرونة وسرعة الحراك الاجتماعي حيث تسود قيم الدافعية والإنجاز . جانب آخر هو أن وضع الفرد في مثل هذا المجتمع لا يضع حدود أو سقفاً لما يريد تحقيقه ، ويكون لسان حاله " لا يحدني في الفكر ولا العمل سوى السماء "(الجوهري ،١٩٧٨:١٤٠) ، ويضيف حامد عمار بأن مشكلة الدول النامية لا تكمن في خلق الثروة بقدر ما تكمن في الرغبة في خلق الثروة .

ويؤكد لويس عوض دور العنصر البشري في التنمية فيقول الإنسان " هو مجدد الحياة الراقية وصانع الفكر وصانع الماده ومبتكر الآله ، الإنسان حين لا يجد ما يأكل فينبش الأرض بيديه فيستخرج البذور أو

يضرب بعصاه الأرض فتتفجر منها ينابيع الذهب الأسود والإنسان حين به الأرض يفكر في استعمار الكواكب وامتلاك السماء(حسن ،١٩٩٨:٣٤٦) .

ويضيف حسن ١٩٨٨م بأن بناء الأمم إنما يتوقف على بناء مواردها البشرية مضيفاً بأن رأس المال المادي والموارد الطبيعية تلعب دوراً مهماً في التنمية الاقتصادية ، ولكن ما من احدهما يفوق في الأهمية دور العنصر البشري ، ويضيف صابر بأن بعض الأمم تجنح إلى التغير من خلال التشريعات ولكن موقف الناس حيالها قد يكون ضعيفاً لتمسك الناس بتلابيب الماضي(صابر ،١٩٦٢:٦٤).

من الباحثين الذين فسروا قضايا التنمية والتخلف في ضوء العوامل النفسية الامريكي دانيال ليرز الذي يربط بين تحقيق التنمية والتحضر وانتشار وسائل الاتصالات والتعليم ، أن الاهتمام بالربط بين التعليم والتنمية اهتمام قديم يتجلى في أعمال الفيلسوف الصيني كونفوشيوس الذي يطالب بتعليمه صيد السمك بدلاً عن تناوله جاهزاً ، وربما كان الفيلسوف الصيني ينظر إلى الأمر بمنظور مستقبلي يهدف إلى أهمية توظيف التعليم لتلبية الاحتياجات المستقبلية للإنسان بدلاً عن الاحتياجات الآنية ، يتحقق بذلك استدامة التنمية . ثم أن ليرز لم يغفل دور الاعلام في إحداث التقمص العاطفي ، بمعنى أن يرى الإنسان نفسه في مواقع الآخرين فيسعى إلى تحقيقها في ذاته – أي بمعنى حدوث حراك نفسي في داخل الإنسان ، غير أن هذه النظرة تعرضت لإنتقادات – فالتقمص العاطفي قد ينمي في بعض الأفراد التطلع لأشياء قد تتعارض مع واقع المجتمع الذي يعيش فيه الفرد.

أما عالم النفس الامريكي لافيد ماكللاند الذي يربط بين الدوافع النفسية – خاصة دافع الإنجاز وتحقيق التنمية ، ويضيف بأن القوى الرئيسية التي تلعب دوراً في التنمية تكمن في الإنسان نُفسه وفي دوافعه التي ينتظم بها في علاقاته مع الأخرين ، يتفق معه في ذلك ادوارد موراي الذي يميز بين نوعين من الدوافع على النحو الآتي :

أ.دافع الإنجاز وأصحابه أكثر ثقة في النفس ويتميزون بتفضيل المسئولية الفردية ثم أنهم أميل إلى العمل مع الخبراء لا الأصدقاء .

ب.دافع الإنتماء وأصحابه أكثر ثقة في النفس وأكثر اهتماماً بالعلاقات الإنسانية ويتخيرون العمل مع الأصدقاء وإن تأثر العمل تبعاً لذلك(موراي ،١٩٨٨:١٩٣) .

ويشير ليرنر إلى وجود تأثير متبادل بين التعليم وانتشار وسائل الاتصال – إذ يساهم التعليم في اختراع وتحديث وسائل الاتصال التي تساهم بدورها في نشر التعليم بل أن التعليم يساهم في بناء قدرات الإنسان في السيطرة على الطبيعة وبالتالي محاربة الفقر كما يبدو واضحاً في مقولة مارشال الذي تقول :

" أن فئة متعلمة من الناس لا يمكن أن تعيش فقيرة ، وذلك أن الإنسان بالعلم والمعرفة والوعي والطموح والقدرة على العمل والإنتاج والقدرة على الخلق والإبداع يستطيع أن يسخر قوى الطبيعة ومصادرها وما في باطن الأرض وما فوقها لصالحه والارتفاع بمعيشته(حسن ،١٩٩٨:٣٤٠) .

مصادر الإنجاز :

سبقت الإشارة إلى أن أصحاب الاتجاه السلوكي يربطون بين الدافعية والتنمية باعتبار التنمية نابعة من داخل الإنسان مما يدعو إلى البحث عن مصادر دافع الإنجاز .

في هذا الجانب إنصب اهتمام الباحثين على مؤسسات التنشئة الاجتماعية الوالدية تعتبر من محددات الإنجاز – إذ يشير ماكس فيبر مثلاً أن البروتستانتية تمثل ثورة في الأسرة أدت إلى ظهور أبناء لديهم دوافع قوية للإنجاز من خلال تدريب الأطفال على الاستقلال المبكر ، وتأتي هذه النتيجة مطابقة لما توصلت إليه عالمة النفس الامريكية ونزبوتوم التي قامت بقياس مستوى الإنجاز عند مجموعة من الأطفال في سن الثامنة من العمر وخلصت إلى أن امهات الأطفال ذوي الدافع القوي للإنجاز كن يطلبن من اولادهن الأستقلال المبكر قياساً بامهات الأطفال ذوي الدافع المنخفض للإنجاز ، لم يكن يشجعن أولادهن على الإعتماد على الذات حتى ظل الأطفال أكثر اعتماداً على الأسرة(موراي ،١٩٨٨:١٩٨) .

إلى جانب التربية الوالدية ، ركز آخرون على العامل الديني كمصدر من مصادر الدافعية ، كما أشار ماكس فيبر إلى ذلك ، غير أن نظرته تعرضت لانتقادات نتيجة ظهور رأسمالية في دول على الحوض الجنوبي للبحر المتوسط وهى دول تدين بالكاثولوكية – هذا فضلاً عن بلاد أخرى بعيدة عن تأثير المسيحية مثل اليابان التي تدين بالبوزية. ثم أن البروتستانتية المسيحية – ليست الديانة الوحيده التي تدعو إلى التنمية.

الناظر في الدين الاسلامي الحنيف يقف على آيات كثيره في القرآن الكريم تدعو إلى التنمية وتمجيد العمل والاجتهاد مثل الآية التي تقرأ (فأذا قُضيت الصلوة فأُنتشرُوا في الأرض وابتغوا من فضل الله وأذكروا الله كثيرا لعلكم تُفلحُون) (سورة الجمعة ، الآية ١٠) . ويقول تعالى في موضع آخر " هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فأمشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور " (سورة الملك ، الآية ١٥) ويقول سبحانه وتعالى ايضاً " هو الذي سخر لكم السموات والأرض جميعاً إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " (سورة فاطر ، الآية ١٣) .

بجانب القرآن الكريم تحفل احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بإشارات كثيرة تعلي من قيمة العمل مثل قوله عليه السلام " ما من مؤمن يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو حيوان أو طير الإ كان له به صدقة " .

بل أن الاسلام يحارب تجميد الثروات فيقول عليه السلام في حديث آخر " من أحياء أرضاً ميتة فهى له وليس لمحتجز حق بعد ثلاثة سنين " (رواه ابو يوسف في كتاب الخراج) .

وفي دراسة آثار الانبياء عليهم السلام – يدرك الباحث إعلاء لقيمة العمل ، خاصة وإن الانبياء يمثلون قدوة يغتدى بهم – فما ورد في الأثر أن ابراهيم عليه السلام كان يعمل في مجال البناء ، ولذلك لم يبدو غريباً ارتباط بناء الكعبة المشرفة به وكذلك كان يعمل سيدنا نوح عليه السلام في مجال صناعة المراكب .

يهتم الدين الاسلامي كذلك بتحسين أحوال البشر ومما يرد في هذا الجانب كتاب الأمام علي كرم الله وجهه إلى واليه بمصر قائلاً " وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج فمن طلب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ".

الفولكلور والتنمية

يخرج الإنسان إلى الدنيا كائناً عضوياً لتتولى مؤسسة التنشئة الاجتماعية تحويله إلى إنسان وذلك من خلال القيم والعادات والتقاليد تندرج تحت مسمى الفولكلور ، يجب علينا أن نقف أولاً عند تناول وظيفتها في المجتمع ومما يذكر في هذا الصدد – أن النظرة القديمة لوظيفة الفولكلور كانت تحصره في دائرة الإمتاع وتقضية أوقات الفراغ ، غير أن الدراسات اللاحقة كشفت أن للفولكلور وظائف أخرى بخلاف الإمتاع والتسلية ، ولعل خير مثال في هذا السياق ما أوردته عالمة الفولكلور الامريكية روث في أن العادات والتقاليد في المجتمعات الافريقية تحظر سرد الحكايات أثناء ساعات النهار – بل تشدد على هذا الحظر ولقول بنفوق ماشية الراوي اذا تجاوز هذا الحظر .

ويربط القارئي هذا الواقع مع ما يتردد في المجتمع السوداني باصابة الراوي بالعمى إن هو تجرأ على سرد الاحاجي نهاراً .

يرى كثير من الباحثين – أن الحظر النهاري لسرد الأحاجي ربما يمكن تفسيره في إطار أن ساعات النهار هى ساعات العمل والإنتاج ولا يجوز هدرها في التسلية . ويتضح من هذا اهتمام الحكاية الشعبية بالاعلاء من قيمة العمل ، فالعمل يؤدي إلى القضاء على الفقر والمرض والجوع ، وربما كانت نظرة تعكس السعي لمحاربة الفقر الذي مازال يعاني منه الكثيرون في العالم لاسيما في قارتي آسيا وافريقيا وإلى درجة أن جاء محور القضاء على الفقر في صدارة أهداف التنمية الصادرة عن البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة في ٢٠٠٥م.

إلى جانب ذلك – يعتبر الفولكلور بمثابة مرآة المجتمع وأنها تعكس موقف المجتمع مما يدور حوله . وفي ذات السياق يشير حريز إلى أن الفولكلور يعتبر مؤشراً للتجاوب يعكس المرغوب فيه والمرغوب عنه في المجتمع(محمد ،١:٢٠٠٤) .

هذا ما كان عن الفولكلور بصفة عامة ، اما اذا انتقل الباحث لتناول علاقة القيم بالتنمية يستحسن هنا أولاً إلقاء الضوء على الآتي :

القيم والتنمية

من المعروف أن المجتمع في حالة تغير يشمل كافة مناحي الحياة وكثيراً ما تتدخل الحكومات في هذا الجانب باصدار تشريعات ، غير أن موقف الناس حيالها يكون سالباً وذلك لتمسك الناس بتلابيب الماضي ، وخير مثال لذلك هو موقف السكان الريفيين من تشريعات ودعوات تنظيم النسل وذلك لاعتبارات اجتماعية ، ثقافية ، دينيه(صابر ،١٠٧:١٩٦٢) ، ففي مصر مثلاً يرمى بقايا (خلاص) المرأة الحامل بعد

وضوعها مباشرة إلى أنثى الكلاب فتأكلها من أجل أن تكثر المرأة من الإنجاب كأنثى الكلاب(دياب ،١٩٨٥:٧٦) ، ولعل هذا يذكر القارئ بعادة وضع جريد النخل الأخضر في غرفة الزوجين حديثي الزواج حيث يرمز الجريد الأخضر إلى الخصوبة(صابر ،١٩٦٢:١٢٣) ، يضاف إلى ذلك تهنئة العروسين حديثي الزواج بالمقولة المشهورة (يغلبك بالمال وتقلبك بالعيال) وهى دعوة تتضمن كثرة الإنجاب للعروس وكثرة المال للعريس .

مما تقدم يخلص القارئ إلى أن هذه العادات تفضل كثرة الإنجاب ومعلوم أن كثرة الإنجاب يترتب عليه ارتفاع مستوى الإعالة لرب الأسرة الذي قد لا يكفي دخله لمواجهة جميع متطلبات الأسرة من غذاء وتعليم ورعاية صحية واحيانا العلاج ، ويترتب على ذلك عجز رب الأسرة عن توفير التعليم أو العلاج ، مما يعد معوقاً للتنمية . ولذلك أشارت أهداف التنمية للألفية إلى أن صغر حجم الأسرة يرتبط بسعادة الأطفال.

وإذا نظر الباحث في تجارب من دول أخرى فتكفي الإشارة هنا إلى تجربة برنامج الغذاء العالمي في الهند – هى دولة تطحنها المجاعات – نتيجة رفض الهندوس بتناول لحوم الأبقار ومستخرجات البانها لأسباب دينية تتعلق بتقديس الأبقار (بدوي ، ٢٠٠٢م ، ٢١٦) ، مثال آخر من الهند حيث يسود نظام الطوائف المغلقة ، وهو نظام جامد يحدد فيه وضع الفرد في المجتمع حسب المولد لا الإنجازات الشخصية، وبالتالي لا يتيح النظام مجال للحراك الاجتماعي لطبقة المنبوذين مهما أثبتوا من قدرات مما يولد لديهم شعوراً بالغبن والظلم(صابر ،١٩٦٢:٤٧) ، ومثال آخر من الهند ايضا حيث تحرم العادات على طبقة النبلاء لمس محرات الزراعة مما يدفعهم إلى الإستعانة بعمالة مأجورة من الطبقات الدنيا مما يساهم في تدني نصيب الفرد من الإنتاج .

تؤثر قيم الثبات والجمود على جوانب أخرى من حياة المجتمع كالجانب السياسي ، ومما يذكر في هذا معارضة بعض طوائف الهندوس لدعوة المهاتما غاندي في رفع الظلم عن المنبوذين باعتبار دعوة غاندي خروجاً على تعاليم الديانة الهندوسية(الجوهري ،١٩٧٨:١٤٥) .

كشفت الدرسات ايضا عن وجود علاقة بين مستوى الطموح ودخل الفرد ، ومما يذكر في هذا الجانب أن العمال الاندونيسين يعملون لساعات أقل كلما ارتفعت أجورهم ، ويعزى بويك ذلك إلى تدني مستوى الطموح لدي العمال.

بالإنتقال إلى المجتمع المصري يورد الزلفاني ما صاحب إمداد عدد من القرى المصرية بمشروعات توفير مياه الشرب النظيفة ، فبعد تزويد القرى بخدمات المياه تلاحظ أن المواطنين استمروا يشربون من المياه

العكره كما كانوا ، فيما قصروا المياه النظيفة سقي الدواجن ، وبعد البحث عن امتناع المواطنين عن شرب المياه النظيفة ، كشف البحث أن النساء القرويات أقنعن أزواجهن بأن تناولهم للمياه النظيفة يسلبهم رجولتهم . ومثال آخر أيضا إذ قام أخصائي التنمية بزراعة نوع جديد من الذرة في أرض حكومية وكان الإنتاج طيباً ، وفي العام التالي قام بعض المزارعين على زراعة النوع الجديد من الذرة وكان الإنتاج وفيراً وأرتفعت مستوى الدخل بنسبة ٢٥٪ . في العام التالي توقع الاخصائي إقبال مزيد من المزارعين بعد أن رأوا النتيجة بأعينهم ، غير إن ما حدث كان مفاجئاً إذ نفر المزارعون عن زراعة النوع الجديد من الذرة ذات الإنتاجية العالية ، ما جرى من بحث للكشف عن أسباب هذا النفور ، وكشف في النهاية أن النساء الريفيات أيضا أقنعن أزواجهن أن عجين النوع الجديد من الذرة ليس له قوام وأن تناولهم للخبز المصنوع منه يقلل من خصوبتهم(بدوي ، ٢٠٠٢م ، ٣١) .

لا يعني الإشارة إلى الأمثلة التي ساقتها هذه الدراسة تعارضاً بين القيم والتنمية ، إذ أن هناك بالمقابل قيماً أخرى تدعو إلى التنمية ، ومما يمكن أن يساق هنا كمثال ما عرف عن اليابانين من حب العمل وإلى درجة يعتبرون فيها صاحب العمل كولي نعمة ، وربما كان هذا مربوطاً بتعاليم الديانة البوذية التي تعلي من شأن العمل والمربوطة بالدعوة إلى النجاح الاقتصادي(التابعي ،١٩٨٥:٢٩) .

٣– القيم السودانية والتنمية

تعكس كثير من قيم الثقافة السودانية مواقف من التنمية تتأرجح ما بين الإيجابية والسلبية ، ويمكن للباحث أن يميز بين الموقفين التاليين :

أولاً القيم السلبية :

يؤثر كثير من العادات السودانية على التنمية ويذكر هنا تجربة مصنع بابنوسة – اذ قام المشرفون على إنشاء المصنع في بابنوسة بغرب كردفان باعتبارها مركزاً كبيراً لتجمع الأبقار في فصل الخريف مما يضمن وفرة اللبن للمصنع ، بعد إنشاء المصنع فوجئ المشرفون بإحجام البقارة عن توريد اللبن بالكميات الكافية للمصنع ، وبالبحث تبين أن التصرف في اللبن من أمور النساء ، ثم أن بيع اللبن يعتبر عيباً ، فاللبن عندهم غذاء الأسرة وإكرام الضيف(صابر ،١٩٦٢:٨٢) .

بالنظر في طقوس العبور المرتبطة بدورة حياة الإنسان في المجتمع السوداني يلاحظ الباحث أنها تؤثر على التنمية ، فمن عادات أهل السكوت في أقصى شمال السودان دفن تبيعة المولود اذا كان انثى في التكل (المطبخ) فيما تدفن تبيعة الذكر تحت تروس الساقية ، ويفسر ذلك بأن هذه العادات تحمل نظرة

استباقية بارتباط الأنثى بالطبخ والأعمال المنزلية ، وتعكس في الوقت ذاته رغبة الأسرة بارتباط المولود الذكر باعمال الساقية والزراعة – ثم أن هذه العادات تعكس لنا تمييزاً على أساس النوع الاجتماعي للمولود. وإذا قرأ الباحث هذا مع ما ورد في برنامج أهداف الألفية سابقة الذكر فإنه يجد من بينها اهدافاً تنادي بالمساواة وإزالة الفوارق بين أفراد المجتمع على أساس النوع .

وفي شرق السودان تحرم العادات على المرأة حلب اللبن – وإن تضرر أطفالها جوعاً ، لإعتقادات بأن المرأة مخلوق نجس لا يجوز لها حلب اللبن الطاهر(الطيب ،ب.ت:٢٤) .

الأمثال الشعبية السودانية تعكس هى الأخرى كثيراً من القيم التي تعوق من التنمية ، فبعض أمثالها تدعو إلى الجبرية والتواكل كما يتضح من المثل الذي يقول " ما تخدم تتعسم الرزق مقسم " عسم الكف أو القدم يبس ، أي لا تخدم للرزق حتى تتعسم قدمك أو كفك مبالغة في التعب لتحصيل الرزق ، ويقول مثل آخر في نفس الموضوع " رزق زول ما بيأكله زول . ومثل آخر يقول " إن جريت جري الوحوش غير رزقك ما تحوش(الصادق ،ب.ت:٥) .

ثانياً القيم الإيجابية :

يجب الا يفهم من الإشارات والأمثلة السابقة أن هناك تعارض بين القيم والتنمية وأنهما يقفان على طرفي نقيض ، إذ أن هناك بالمقابل قيم تقف موقفاً إيجابياً من التنمية وذلك بالدعوة إلى العمل ، ورفع مستوى الطموح والإنجاز والاعتماد على الذات .

أذا أخذ القارئ مثلاً مجال الحكاية الشعبية يجد من بينها حكايات تدعو إلى رفع مستوى الطموح ، كما يبدو في حكاية بنت الحطاب وفحواها إعلان الملك عن رغبته في تزويج أبنه وفق شرط قاسي أن أبنه لن يتزوج إلا من تتفوق عليه في لعبة السيجة[1] . فتبارى بنات الملوك والسلاطين والوزراء وتغلب عليهن جميعاً ، إلى أن ياتي الدور على بنت الحطاب الماهرة في اللعبة وكان الغلبة من نصيبها وتم الزواج الذي جمع بين روحين من فئات اجتماعية متباينة ، أبن الملك بجاهه وسلطانه في أعلى درجات السلم الاجتماعي مقابل بنت الحطاب في أدنى درجات السلم الاجتماعي ومحدودية امكاناتها .

[1] لعبه شعبية مشهورة في السودان

إلى هنا انتهت الحكاية غير أنها أرادت أن تقول للقارئ حدوث حراك اجتماعي رأسي لبنت الحطاب ، وكأن الحكاية ارادت أن تقر بحقيقة إمكانية تطلع البسطاء إلى وضع اجتماعي أفضل ودافعه بذلك مستوى طموح هذه الشرائح من خلال المعالجات الاجتماعية بدلاً عن المواجهات والصرعات .

إلى جانب الإنجازات الشخصية المكتسبة تتناول الحكاية الشعبية في السودان جوانب أخرى كما تبدو في قصة الأخوة الثلاثة الذين يخطط أبوهم لاختبار أهليتهم ، فيعطي كل منهم كيساً به مبلغ متساو من المال ، فيتجه الولدان الأكبر والأوسط إلى مدينة أشتغل أهلها باللهو وهناك سمعا بفتاة جميلة تشترط على من يتقدم للزواج منها أن يتفوق عليها في لعبة السيجة سالفة الذكر ، وإن أخفق أخذت كل أمواله . فيباريها الأخوان الواحد تلو الآخر وتتفوق عليهما الفتاة وتأخذ كل أموالهما ، فيهيمان في وجه الأرض إلى أن التحقا بالعمل مع تاجر في مجال حمل البضائع .

الأخ الأصغر قصد مدينة اخرى وعمل بالتجارة وتوسعت تجارته واصبحت له قوافل تجارية تجوب البلدان ، وبينما كان خارجاً في أحدى رحلاته التجارية وقف بمدينة ووجد أخويه وقد رأى فيهما التعب من حمل الأثقال فرق لحالهما وعرض عليهما العمل معه وهما لا يعرفانه . في الطريق قص كل منهم حكايته فغضب الأخ الأصغر وأصر على استرداد أموال أخويه فقصد المدينة التي تقيم فيها الفتاة الجميلة ونازلها اللعبة ليتفوق عليها ويسترد أموال أخويه ثم تزوجها ويعودوا جميعاً إلى أبيهم .

الأخوان الأكبر والأوسط يحسدان اخاهم الأصغر فيكيدان للتخلص منه فيفقعان عينيه ويتركانه وحيداً تحت شجرة ويعودان ليخبرا الأب بأن اسداً كاسراً قد قضى عليه ، الأخ الأكبر يتقدم للزواج من أرملة أخيه التي تشترط أنها لن تتزوج إلا ممن يحضر لها خلخالاً كالذي تحتفظ به معها ، يخرج الأخوان ويعودان بعد فترة بخلخال شبيه بالذي تحتفظ به ، أصرت الفتاة هذه المرة على إحضار صانع الخلخال الذي تبين فيما بعد أنه أخوهما الذي عمل صائغاً بعد أن استرد بصره ، هنا عرف الأب المكيده وطرد ابنيه الأكبر والأوسط، أما الأصغر فاعطاه كل أمواله.

إلى هنا انتهت الحكاية غير أنها عكست لنا جوانب من شخصية الأخوة الثلاثة ، فالأخوان الأكبر والأوسط يجسدان مجموعة من القيم السلبية كالاستهتار واضاعة المال والقسوة وكان مصيرهما الطرد والزل والهوان ، أما الأخ الأصغر فيجسد مجموعة من القيم الإيجابية مثل الحرص على استرداد أموال أخويه ثم الجد والعمل والمثابرة لتنمية ماله فكافأته الحكاية بمزيد من المال .

إضافة إلى ذلك ارادت القصة أن تقول لنا أن النجاح في الحياة ليس مربوطاً بعامل السن وإنما هناك عوامل أخرى مثل ارتفاع مستوى الطموح ودافعية الإنجاز .

جانب آخر هو أذا عرف القارئ أن الأخوين الأكبر والأوسط من أم حرة فيما كان الأخ الأصغر ابن جارية ، يخلص القارئ من هنا أن الحكاية ارادت أن تقف موقفاً مناهضاً للتمييز على اساس العرق والعنصرية ، بل أنها خصت ابن الجارية بالخصال الجميلة والإيجابية لتقول أن هذه الصفات ليست قاصرة على أبناء الأحرار وإنما يشاركهم فيهما ابناء الشرائح الأخرى من رقيق وجواري .

بالنظر في حكاية أخرى سلطان الجزيرة يرسل أبن السماك إلى جزيرة أخرى نائية لاحضار أميرة جميلة يود الزواج منها ، يتعرض ابن السماك للمخاطر ويصل الجزيرة ويعود ومعه الفتاة الجميلة ، وبينما السلطان يستعد للزواج تفاجئ الحسناء السلطان برفضها الزواج وتقبل بابن السماك زوجاً بدلاً عنه .

يلاحظ القارئ هنا أن الفتاة الجميلة فضلت أبن السماك بإمكاناته المحدودة بدلاً عن رغد العيش في كنف السلطان بجاهه وماله ، وبمحاولة تفسير هذا الأمر يبدو أن الفتاة الجميلة ربما تكون قد كشفت في أبن السماك مزايا وخصائص يفتقد إليها السلطان ، ويذكر القارئ مقولة الفيلسوف أرسطو القائل " أن الثروة ليست الخير الذي نسعى إليه "(تقرير التنمية البشرية ،١٩٩٤:١٤) ، بل ربما اهتمت الفتاة بجوانب أخرى من جوانب الحياة أكثر من اهتمامها بالثروة.

أذا ترك الباحث مجال الحكاية الشعبية جانباً وأتجه إلى أشكال أخرى من التراث الشعبي كالأمثال الشعبية مثلاً ، ويتناول بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر ، وأنه يقف مثلاً على أمثال تدعو إلى الإعلاء من قيمة العمل ، إذ يقول المثل " أرجا سفيه ولا ترجى باطل " فالمثل هنا يفاضل بين شخصين أحداهما سفيه سيئ الخلق والثاني عاطل غير منتج وينتصر المثل للسفيه الذي يرجى منه مستقبلا بدلا عن العاطل .

إلى جانب هذا المثل يطلع الباحث على مثل آخر يقول " ارقد نهينك وقوم نعينك "(الصادق ،ب.ت:٧) ، إذ يوضح المثل أن التقاعس مربوط بلإهانة بعكس العمل والحركة المرتبطان بالعون ، وبل أن الأمثال تأمر بالعمل حتى ولو كان المخدم من غير المسلمين بدلاً من التبطل ويقول المثل " أخدم النصارى ما تقعد خسارة (الصادق ،ب.ت:٨)" .

تتناول الأمثال السودانية كذلك قيمة الاعتماد على الذات ، بل تدعو له فقول " أن شاء الله عيشك ما يكون في إيد أخيك ، وتمضي ايضا إلى الدعوة بأن يتولى الفرد ادارة أموره بنفسه ويقول المثل هنا " ماحك جلدك متل ظفرك(الصادق ،ب.ت:٩) .

إلى جانب الاعتماد على الذات تدعو الأمثال السودانية كذلك إلى ارتفاع مستوى الطموح والتطلعات فتقول في هذا المجال " إن عشقت أعشق قمر وإن سرقت أسرق جمل " .

٤– النتائج والتوصيات

النتائج:

من خلال ما تقدم يمكن القول أن الدراسة توصلت إلى عدد من النتائج التي يمكن تلخيصها فيما يأتي:

١– تلعب القيم السودانية دوراً إيجابياً وبارزاً في عملية التنمية

٢– خلصت الدراسة على التأكيد على أن الخصوصية الثقافية الحضارية لكل أمة هي من يعطيها نمطاً معيناً للحياة يختلف من مجتمع لآخر وهذا النمط عبارة عن العلاقات والتفاعلات والقيم السائدة في المجتمع.

٣– تقف القيم موقف إيجابياً من التنمية وتدعو للعمل ورفع مستوى الطموح والإنجاز والاعتماد على الذات.

٤– هنالك الكثير من الأمثال السودانية تدعو إلى الإعلاء من قيمة العمل.

٥– توجد بعض القيم التي تقيد من الاستخدام الاقتصادي لبعض الموارد.

٦– هنالك بعض العادات تعكس قيماً تميز على أساس النوع الإجتماعية.

٧– توجد بعض الأمثال السودانية التي تعكس كثير من القيم التي تعوق من التنمية وتدعو إلى الجبرية والتواكل.

التوصيات:

من خلال بيانات الدراسة والنتائج يمكن أن توصي الدراسة بالتوصيات الآتية:

١– لابد من تفعيل دور القيم الإجتاعية الإيجابية والتصدي ومعالجة ما هو سلبي ومعيقاً لعملية التنمية.

٢– ضرورة إعطاء للقيم أهمية وخطط التنمية القومية لمحاولة إحدث تغيير حقيقي في هذا المجال.

٣– لابد من إجراء الدراسات والبحوث الإجتماعية الميدانية لمختلف شرائح فئات المجتمع في الريف والحضر والإستفادة الفعلية من النتائج التي توصلت لها والتوصيات التي تقدمها.

٤- ينبغي على المؤسسات الإعلامية أن تأخذها دورها في محاولة منها بإحداث تغيير جذري للقيم السلبية من خلال التركيز على البرامج الهادفة التي يمكن أن تسهم في نشر الوعي الإجتماعي والثقافي.

٥- يجب على المؤسسات المسئولة عن التخطيط لعملية التنمية الإهتمام بالجانب الإجتماعي والثقافي لما يمثله من دور وأهمية وتأثير كبير في إنجاح عملية التنمية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

القرآن الكريم

الحديث الشريف

ثانياً : الكتب

-أبوكريشة، عبدالرحيم تمام، ٢٠٠٣م، دراسات في علم اجتماع التنمية ، المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية.

-الأسد ، ناصر الدين ، ٢٠٠٠م، نظرات في لغة المصطلح وفي مضمونه : دورية أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط.

-بن الدباغ ، عفاف بنت ابراهيم،١٩٩٦م، المنظور الاسلامي للرعاية الاجتماعية : المنهج والمجالات، مكتبة المعهد، القاهرة.

-بيومي ، محمد أحمد، ٢٠٠٣م ، علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الاسلامي، دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية.

-برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ١٩٩٤م، تقرير التنمية البشرية : مركز دراسات الوحدة العربية ،

-بركات ، حليم، ٢٠٠١م، المجتمع العربي المعاصر : بحث استطلاعي اجتماعي، ط٧، مركز الوحدة العربية ، بيروت.

-بكار ، عبدالكريم ، ٢٠٠١م، مدخل إلى التنمية المتكاملة ، رؤية اسلامية ، ط٢ ، دمشق.

-الجوهري ، عبدالهادي وآخرون، ١٩٩٩م، دراسات في التنمية الاجتماعية مدخل اسلامي، المكتب الجامعي الحديث،الاسكندرية.

-الجوهري ، محمد محمود، ١٩٧٨م، علم الاجتماع وقضايا التنمية، دار المعارف المصرية ، القاهرة.

-_____ ١٩٧٩م، مقدمة في علم اجتماع التنمية، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة.

-_____ ١٩٨٧م، علم الفولكلور : دراسة في الانثروبولوجيا الثقافية ، ط٣ : دار المعارف .

-_____ ٢٠١٥م ، علم اجتماع التنمية ، دار المسيرة ، الأردن.

-دياب ، فوزية، ١٩٨٥م، القيم والعادات الاجتماعية ، دار النهضة العربية ، بيروت.

-حسن ، عبدالباسط محمد، ١٩٩٨م، التنمية الاجتماعية ، ط٢ ،مطبعة وهبة ، القاهرة.

-الطيب ، أبوالقاسم عثمان، ب ت، عقد الدر : من ود حسونة إلى ودبدر : دار جامعة امدرمان الاسلامية للطباعة والنشر .

-اليمين بن منصور، ٢٠١٠م، دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية : دراسة ميدانية حول الميزابيين المقيمين بمدينة بانته ، رسالة ماجستير منشورة ، جامعة الحاج الخضر ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية .

-محمد ، فرح عيسى محرراً ، ٢٠٠٤م، دور الفلكلور في السلام والتنمية ، قسم الفلكلور بمعهد الدراسات الافريقية والاسوية.

-موراي ، إدوارد، ج ، ١٩٨٨م، الدافعية والانفعال ، (ترجمة أحمد عبدالعزيز سلامة) ، دار العاصمة ، القاهرة.

-المحيا ، مساعد بن عبدالله، ١٩٩٤م، القيم في المسلسلات التلفازية، دار العاصمة، السعودية.

-مرسي ، نورهان منير، ١٩٩٩م، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الا جتماعية، المكتب الجامعي الحديث،الاسكندرية.

-عبدالقادر، سلوى السيد، ٢٠١٠م، الانثروبولوجيا والقيم ، دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية.

-فرح ، محمد سعيد،١٩٨٠م، البناء الاجتماعي والشخصية، المطبعة المصرية للكتاب،الاسكندرية.

-قنصوة ، صلاح،١٩٨١م، نظرية القيمة في الفكر المعاصر، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة.

-صابر ، محي الدين، ١٩٦٢م، التغير الحضاري وتنمية المجتمع ، سرس الليان : مركز تنمية المجتمع في العالم العربي .

-صابر ، محي الدين وآخرون، ١٩٦٢م، العوامل المعوقة لتطوير برامج تنمية المجتمع في العالم العربي، سرس الليان ، أبحاث في برامج تنمية المجتمع في البلاد العربية.

-الصادق صلاح عمر، ٢٠٠٢م، الأمثال السودانية للشيخ بابكر بدري ، ج ٣ ، ط٢ ، جامعة الخرطوم : معهد الدراسات الافريقية والأسوية.

-الشيباني ، عمر محمد التومي، ١٩٩٥م، مقدمة في الفلسفة الاسلامية، ط٢،الدار العربية للكتاب، ليبيا.

-التابعي ، كمال، ١٩٨٥م، الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية،دار المعارف، القاهرة.

-خاطر ، أحمد مصطفى، ١٩٩٠م، الخدمة الاجتماعية وتنمية المجتمع الريفي : رؤية نظرية وواقعية ،المكتب الجامعي الحديث ،الاسكندرية.

-_____ ١٩٩٩م ، تنمية المجتمعات المحلية : نموذج المشاركة في إطار ثقافة المجتمع، المكتب الجامعي الحديث،الاسكندرية.

–غربي ، علي وآخرون، ٢٠٠٣م، تنمية المجتمع من التحديث إلى العولمة ، ط٢، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة.

ثالثاً :الرسائل العلمية :

– بن منصور اليمين ، ٢٠١٠م ، دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية : دراسة ميدانية حول الميزابيين المقيمين بمدينة بانته ، رسالة ماجستير منشورة ، جامعة الحاج الخضر ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية، .

رابعاً : التقارير

–برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، ١٩٩٤م، تقرير التنمية البشرية : مركز دراسات الوحدة العربية.